المحاضرة الخامسة : إجراء الوصف

أولا : مفهوم الوصف :

تعريف الوصف لغةً

: وصَفَه، يصفُهُ وصفًا وصِفةً، أيْ نَعَتَهُ، وتواصَفوا الشيء: وصَفَ بعضُهم بعضًا، أمّا النحويون فالصفة عندهم هي النعت.

تعريف الوصف اصطلاحًا: فهو رسم بالكلام ينقل مشهدًا حقيقيًّا أو خياليًا للأحياء أو للأشياء أو للأمكنة، بتصوير خارجي أو داخلي من خلال رؤية موضوعيّة أو ذاتيّة أو تأمليّة، ومن خلال الدمج بين تعريف الوصف اللغوي والاصطلاحيّ يمكن الاستنتاج أن هذه اللوحة الفنية التي تنتج في الوصف تُنسَج بخيوط من ألوان الكلام المزخرف المنمّق، مع جزالة في الألفاظ ودقة في التصوير، لتصل إلى المتلقي صورةً نقيّةً واضحة غايةً في الجمال والإتقان، فيتم الوصف باستخدام الإنسان للغة وذلك لأجل التعبير عن آرائه ، وأفكاره، وتسجيل ملاحظاته واصفا: الأشخاص، أو الأمكنة، أو الأزمنة، ذلك لأن الحواس تتم إثارتها بواسطة الأشياء فتنقل إلى عقولنا ومخيلتنا أحاسيس كثيرة ، ويتطلب ذلك تعلم كيفية تميز كل ما يصلنا، فاللغة الواصفة للأشكال تختلف عن اللغة الواصفة للألوان أو الأصوات أو الحركات.

ثانيا: أنواع الوصف :

- ***الوصف المجرد: يتم بوصف الأشياء وصفا محايدا، أي كما هي في الواقع دون زيادة أو نقصان، بحيث يتم توخي الواقعية في الوصف، وهنا يشبه نوعا ما التقرير، وتتم الإجابة عن أسئلة مختلفة تتعلق بالحادثة أو بالشخص ، مثل ماذا وكيف؟ مجرى الواقعة، ومن الأشخاص الفاعلين ومتى وأين؟ وهنا لا يتم التعليق على نتائج الواقعة أو دوافع الأشخاص.***
- ***الوصف النفسي: هنا يتم وصف الأشياء وأيضا التعبير عن الأحاسيس والمشاعر تجاهها، من إعجاب أو استهجان، ويعتمد هذا النوع على الخيال والنقد والمقارنة، ويتناول كذلك النواحي النفسية للنفوس البشرية.***

- ***الوصف الإجمالي: يتم التركيز فيه على المظاهر العامة للشيء الموصوف دون***
- ***الدخول في التفاصيل أو الجزئيات.***
- ***الوصف التصنيفي: بحيث يتم تجسيد الشيء الموصوف بكل حذافيره، بعيدا عن المتلقي وإحساسه بهذا الشيء.***
- ***الوصف التعبيري: يتم فيه وصف الشيء والإحساس الذي يثيره في نفس المتلقي، ويلجأ هذا النوع من الوصف إلى تقنيات إيحائية وتلميحية أثناء عملية الوصف.***

ثالثا: تقنيات وصف الأشياء والأمكنة والكائنات الحيّة والمتخيّلة:

1- وصف الأماكن والأشياء المتخيّلة:

للإنسان قوة خيال تُمكّنه من تصوّر أشياء وأمكنة لا وجود لها في الواقع، ويقوم عن طريق الوصف بنقل صورها من مخيّلته إلى المتلقي، وفي غالب الأحيان تكون هذه الأمكنة والأشياء متقاربة أو لها ما يربطها مع ما هو متواجد بالواقع، فيستعمل في وصفها من التقنيات ما سبق ذكره مع الأماكن والأشياء الواقعية، أمّا إذا كانت لا تقارب الواقع، فالأمر يعتمد على سعة خيال الكاتب/ الواصف وقدراته الإبداعية.

2-وصف الكائنات الحية:

وتأتي في مقدمة هذه الكائنات: الإنسان والذي يتمّ وصفه عن طريق رصد مظاهره العامة وخصوصياته الذاتية بكلّ أجزائها وجزئياتها وحركاته وعاداته في الحياة العامة ومختلف اهتماماته، ويتعدّى الوصف الفني مجرد ذكر العناصر السابقة إلى مكونات أخرى كالأفكار والمشاعر والحياة الدينية.

ويرتكز الوصف الدقيق للإنسان على إبراز الاختلاف الكامن بين البشر، فلكل إنسان صفات وطبائع تختلف من شخص لآخر وهي ما يجب معرفتها وإدراجها ضمن الوصف وعادة ما يتمّ وصف الإنسان انطلاقا من التعريف بهويته ثمّ وصف هيئته الجسدية ولباسه ومظهره العام ثمّ سلوكياته وطبائعه العامة والتعبير عن أفكاره ومشاعره.

امّا بالنسبة إلى وصف الحيوانات، فالأمر يتعلّق بكائنات حية ذات مظاهر متغيّرة باستمرار وحركات مختلفة جدا وأحيانا غير متوقعة، وحياة فردية أو جماعية مميّزة ممّا يفرض في عملية الوصف انتباها مضاعفا ومعجما جديدا. وليس ضروريا وصف كلّ جزئيات الحيوان فقد تمّ الاكتفاء بوصف الخصائص المميّزة لحيوان ما عن سائر الحيوانات مثل قولنا عن الأسد أنه سيد الغابة وذلك تعبيرا عن قوته، وأيضا ووصف الأرنب وسرعته، ويتمّ اختيار تفاصيل الوصف هنا انطلاقا من الانطباع العام للواصف تجاه الحيوان الموصوف والظروف العامة لعملية الوصف، والتي سوّغت هذا الانطباع.

3- وصف الكائنات المتخيّلة:

إلى جانب وصف الإنسان والحيوان، فقد راق لمخيلة الإنسان عبر العصور وصف كائنات خيالية كتخيّل وحوش وأبطال وعفاريت وسحرة ومردة، غول وجنيته، الرجل الآلي كائنات خرافية وأسطورية كحورية البحر، وهي مركبة بطريقة غريبة من عناصر طبيعية معروفة، كالمزج بين سمكة وامرأة (حورية البحر).

وهذا النوع لا يخضع لقوانين التشابه والتطابق كما هو الشأن عند وصف الكائنات الواقعية ويرتبط وصفها بنظرة الإنسان لها، فإن كان ينظر إليها على أنّها شريرة، فيتمّ وصفها عادة بالبلادة والجبن، ويفرض إدراكنا أن تكون هذه الكائنات المتخيلة تشبهنا في بعض التصرّفات والمشاعر التي نعرفها ممّا يجعل وجودها ممكنا، فيثير اهتمامنا، ولا يشترط أن يكون الوصف صحيحا ودقيقا وموضوعيا هنا، فالمهمّ هو الجديد الذي يشكّله الوصف.